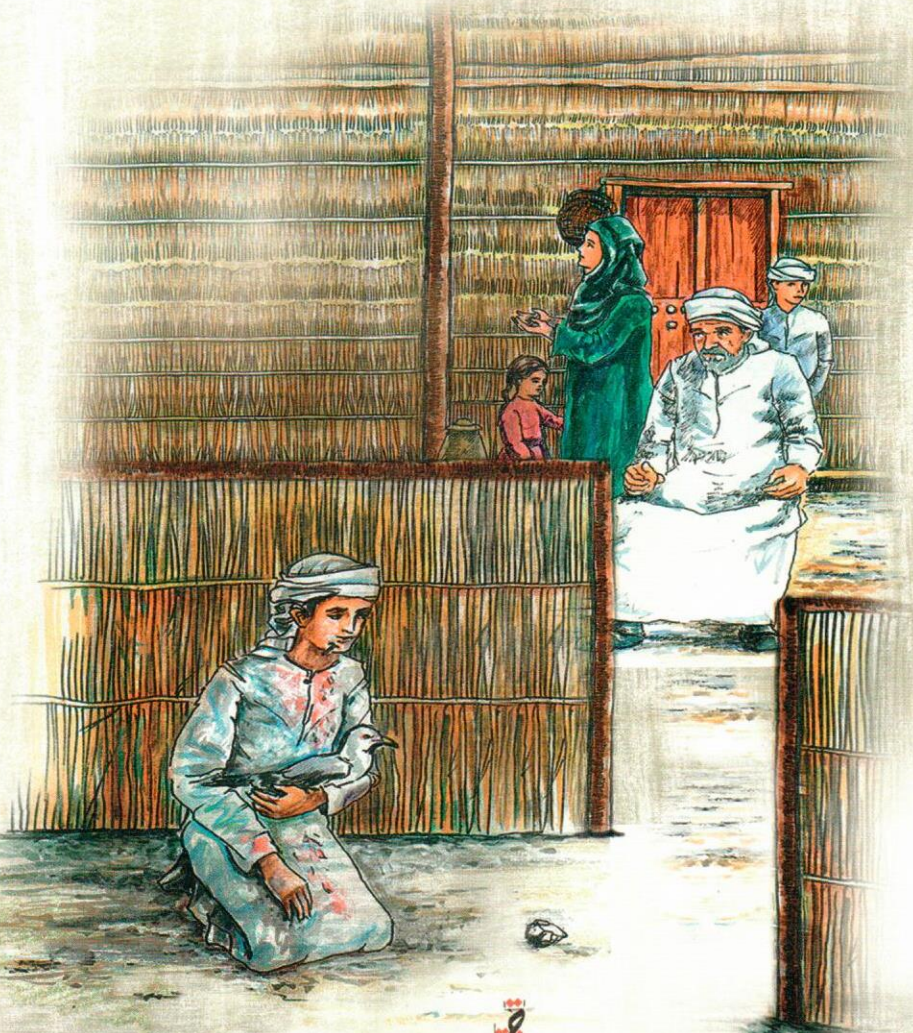


حكايات شعبية

من مدينة دبا

الجزء الثاني



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

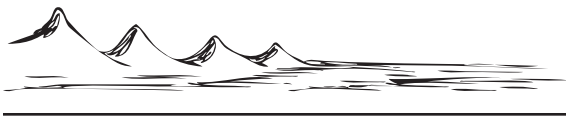
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

خالد سليمان بن جميع الهنداسي
حكايات شعبية
من مدينة دبا ٢

الإهداء

إلى والدتي
فاطمة علي هلال الظنحاني

خالد سليمان بن جميع الهنداسي



مقدمة المركز

يُولي مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث متمثلاً في إدارة البحوث والدراسات اهتماماً بالغاً بنشر المعرفة عبر إصدار ونشر الكتب والمؤلفات الأكاديمية في مختلف أوجه التراث والتاريخ الإماراتي بشكل خاص، والعربي والإسلامي بشكل عام. ويأتي هذا الاهتمام انطلاقاً من رؤية سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم ولي عهد دبي، التي تؤكد أن التراث مصدر قوة للأمم، يمثل شاهداً على تاريخها، كما يُظهر عراقة ماضيها وأصالة تاريخها.

وتحقيقاً لهذه الرؤية الحكيمة فإن مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث يسعى جاهداً إلى طلب المعرفة والمعلومة وتقصيها والوصول إليها عن طريق البحث العلمي الذي يستند إلى مناهج علمية معترف بها في مجال تدوين التاريخ وجمع التراث وتوثيقه. إذ إن مجتمع الإمارات يزخر بالكثير من العناصر التراثية

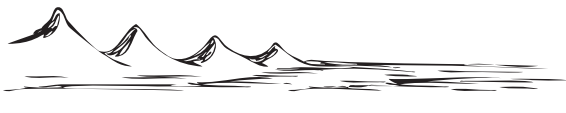


الثقافية التي تعكس هويته وأصالته، وتُعد الحكايات الشعبية أو ما يسمى بـ "الخراريف" واحدة من تلك العناصر المهمة.

وانطلاقاً من حرص مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث على صون هذا المخزون التراثي الثقافي الغني لدولة الإمارات العربية المتحدة، فإنه يسرنا أن نقدم للقارئ الكريم الجزء الثاني من كتاب "حكايات شعبية من مدينة دبي".

يُقدّم الكتاب في جزئه الثاني خمس حكايات شعبية من مدينة دبي، إذ تتنوع الحكايات في مضمونها والقيم التي تحملها، فبعضها يتناول قصص البحارة والأخرى تدور أحداثها حول عالم الجنّ، والمخلوقات الغريبة و القصص الخيالية.

تكمن أهمية الكتاب إلى جانب توثيقه لهذا الموروث الثقافي الزاخر، في أنه يُظهر كذلك جوانب مهمة لمجتمع دولة الإمارات من ناحية اللهجة، والأهازيج الشعبية، والبيئة وما تزخر به من أشجار ونباتات

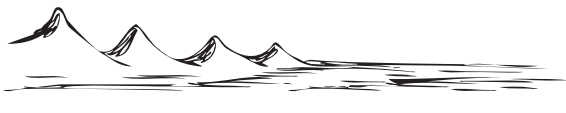


محلية، وعالم البحر وما يرتبط به من مسميات
لطرُق وأدوات صيد، وقوارب وأسماك، إلى جانب ذلك
فإن الكتاب يحفظ الذاكرة المكانية لمدينة دبا وذلك
من خلال توثيقه لأسماء عدد من السيوح والوديان
الموجودة فيها.

إذا يُعدُّ كتاب "حكايات شعبية من مدينة دبا" في جزئه
الثاني صورةً من صور صون التراث الثقافى لدولة
الإمارات العربية المتحدة، ولذاكرته الثقافية الحيّة.

إدارة البحوث والدراسات

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث



مقدمة المؤلف

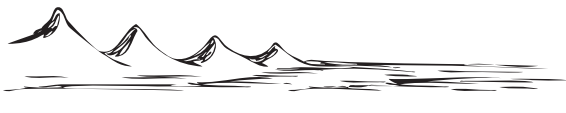
حكايات شعبية من مدينة دبا 2، هي امتداد للحكايات الشعبية التي قمتُ بكتابتها وإعدادها في الكتاب الأول للحكايات، والذي صدر في مايو 2018 عن مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث تحت عنوان "حكايات شعبية من مدينة دبا"، ولما لمست إقبالاً واسعاً على قراءة هذا الكتاب واقتنائه، والصدى المقبول الذي حققه، ارتأيتُ اختيار خمس حكايات شعبية أخرى من أجل حفظ إرثنا الشعبي من فقدان أو الضياع وإغناء المكتبة التراثية الإماراتية بالمزيد من هذه القصص، التي سعتُ في جعلها مميزةً من حيث الطرح، ومختلفةً من حيث الشكل، مع الحفاظ على المضمون الشفاهي الذي نقلته من مدينة دبا حصراً.

ولأن الحكاية الشعبية كما يُعرفها الباحثون هي "فنُ القول التلقائي العريق، المتداول بالفعل، المتوارث جيلاً



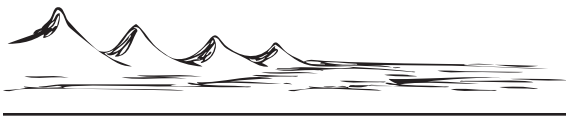
بعد جيل، المرتبط بالعادات والتقاليد"، اعتمدتُ في هذا الكتاب أيضاً وكما في الكتاب الأول على روايات أُمِّي الوالدة فاطمة علي هلال، فهي الأحفظ للحكايات، والأكثر تداولاً لها، والأشد ارتباطاً بالعادات والتقاليد الخاصة بمدينة دبا، ومصدر حكاياتها ما حفظته في ذاكرتها من حكايات الأجداد، وما تمت روايته من قصص في تلك الفترة، باعتبار أن الحكايات الشعبية مصدرها النقل والتداول، فهي نوع من القصص ليس له مؤلف؛ لأنه محصلة عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفهي، الذي يضاف إلى كل قصة من رواو إلى آخر.

الحكايات الخمسة التي اخترتها في هذا الكتاب، هي: "فاطمة زينة العرب"، و"يرم"، و"حراش"، و"سودة خصف"، و"منوه السوداء"، حيث تتناول هذه الحكايات بعضاً من قصص البحارة والجان والمخلوقات العجيبة والقصص الخيالية، التي كانت مصدر حكايات الأجداد في تلك الفترات البعيدة في مدينة دبا على



وجه الخصوص، مُذِلاً بعض المصطلحات أو الأسماء
التي وردت في هذه الحكايات، والتي رأيتها بحاجة إلى
توضيح، بهوامش تُزيل الغموض وتُسهم في تيسير
عملية القراءة وتُزيد من استمتاع القارئ بالقصص.

خالد سليمان بن جميع الهنداسي



تمهيد

ما زلتُ أذكر ذلك المساء العصيّ على النسيان، حيث
تميز بحكاية شعبية نادرة، لا يمكنني نسيانها، كونها
ارتبطت ببعض الأحداث والمواقف التي جرت في ذلك
الزمان في حياتنا.

في ذلك المساء، بمنزلنا المتواضع في مدينة دبا صمبريد،
أو كما يسميها البعض الدوب المطل على البحر، حيث
لا يفصله عن منزلنا سوى بضعة أمتار، فلمنزلنا
باب أمامي مباشر مقابل للبحر، وباب خلفي يطل
على (نَحْلَنَا¹). في تلك الليلة الشتائية الباردة، تأخر
شقيقي الأكبر محمد عن موعد رجوعه إلى المنزل،
وبدأ القلق ينساب إلى صدورنا كلما تعمق الوقت، حتى
حلّ الظلام، ولم يرجع إلى البيت. والسؤال الذي يدور
بين وجوه المنتظرين، يا ترى ما الذي جرى لأخي

محمد؟؟

لم تكمل أُمي معنا انتظاراتنا، وذهبت للبحث عنه في

1 نَحْلَنَا مزرعتنا.



منزل جيراننا، أعمامي وهم جميع وأحمد، واختار
والدي الانطلاق نحو البحر للبحث عنه، كون أخي
محمد عاشق للبحر، يحب اصطياد الأسماك الكبيرة
والطيور وخصوصاً نوارس البحر، إذ إنه ومنذ الصباح
الباكر، يعد عدته ويجهز الفخاخ والمصائد للصيد،
خصوصاً مصيدة (المُعْضَا1) ومصيدة (المُحْبَلَة2)
و(العُومَه3).

وجها أبي وأمي الحزينين كشفا عن كل شيء، حينما
عادا إلى المنزل بدون أخي وبخفي حنين، قطع صمتنا
نواح أمي العميق، إذ أول ما تبادر إلى ذهنها أن أخي
ربما يكون قد غرق في البحر، فلم تكن من عادة أخي
أن يتأخر عن موعد عودته إلى المنزل، أما أبي فقد
سيطرت على قسماات وجهه الحيرة، يفكر باحثاً عن
طريقة للعثور على أخي، لم يكن في ذلك الوقت الهاتف
الأرضي متوفراً في كل بيت، فما كان من أبي إلا أن يقرر
الذهاب إلى بيت عمي أحمد، الذي يمتلك هاتفاً أرضياً

1 المُعْضَا الشص الثلاثية المعقوفة والمتلاحمة.

2 المُحْبَلَة حبال رفيعة تستخدم لصيد النوارس.

3 العُومَه سمك السردين.



ذا قرص في بيته، إذ خطط أبي للاتصال من بيت عمي بالشرطة، والتبليغ عن غياب أخي محمد وعدم عودته إلى البيت، وفي خضم قلقنا وتفكيرنا، وارتداء أبي ثيابه للذهاب إلى بيت عمي من أجل التبليغ، أقبل شخص يحمل نورساً في يده، وملطخ وجهه وثيابه بالدماء. سؤال دار على وجوه الجميع في تلك اللحظة. يا ترى من هذا الشخص!!

إنه أخي محمد، بشحمه ولحمه، ودمائه التي غطت جسده بعد أن اصطاد طائره البحري المفضل، غير أن سوء الحظ صاحبه هذه المرة، إذ علقت «المعضا» بذقنه فسالت الدماء منه، فانتابه الشعور بأن أبي سيوبخه على فعلته هذه، فاختار الجلوس خلف منزلنا بالقرب من المزرعة، ساعياً إلى فك «المعضا» والاحتفاظ بالنورس في حظيرة الغنم لكن دون فائدة.

دخل محمد البيت، وبعد أن نال قدراً وافياً من التوبيخ على تأخره، وما سببه لعائلتنا من قلق كبير، قام أبي بتخليص محمد من «المعضا» بعد أن فكها بطريقة احترافية عالية من ذقنه، ثم عاقبه بإرجاع النورس



الذي اصطاده إلى البحر.

وبعد أن عاد المهدوء إلى المنزل، تناولنا عشاءنا وذهب الكبار إلى غرفهم تلبية لنداء النوم، أما نحن فقد توجهنا إلى غرفة الحكايات، وهي غرفة شتائية كانت تسمى «القطيعة»¹، ولا يزال حياً في ذاكرتي فراشي الأخضر، وتلك المدفأة الحديدية ذات الأسياخ الحمراء الملتهبة، حيث إنني وبشقاوة الطفولة كنت أرمي الحشرات على اللهب فتخرج منها رائحة كريهة يتبعها على الفور التوبيخ المعتاد من أبي.

في غرفة «القطيعة» أيضاً، كان أبي يضع (صُخْلان²) الغنم الصغار في صندوق من الورق المقوى، خوفاً عليهم من برد الشتاء القارس، إذ إن هؤلاء الحملان رفاقنا الذين ينامون معنا في ذات الغرفة، وكانت السعادة تغمرنا ونحن نراقب حركاتهم عن بعد، إذ لم يكن مسموح لنا الاقتراب منهم أو اللعب معهم.

وبعد أن ذهب الجميع إلى فراشه، وأُحْكِمَ على باب القطيعة الإغلاق، بقينا نحن الصغار مع والدتي،

1 القطيعة غرفة مفصولة إلى نصفين أو جزء منها .

2 صُخْلان جمع ومفردها صخل والصخل هو الحمل.



التي أخذت بسرد خروفة فاطمة زينة البنات وغيرها
من الخرايف علينا، والتي تسميها والدتي تخاريف أو
تخروفة.

فاطمة زينة العرب





فاطمة زينة العرب

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هنالك فتاة يتيمة الأم، تدعى فاطمة، عاشت مع والدها وزوجة أبيها في منزلهم المتواضع، لفاطمة أخ وأخت من زوجة أبيها، فاطمة الفتاة الجميلة ذات القلب الطيب تحرص على مساعدة زوجة أبيها في جميع الأعمال المنزلية، بلا كلل أو ملل، وكان أبوها يحبها حباً كبيراً، ويهتم بها، مما أوقد نار الغيرة في صدر زوجته، حتى وصلت بها الأفكار الشريرة إلى التخلص منها بأي طريقة.

مرّت في رأس زوجة الأب الأفكار تلو الأفكار، حتى توصلت إلى خطة وبمساعدة ابنتها وبنات الجيران الثلاثة، للتخلص من فاطمة إلى الأبد. إذ تم الاتفاق بينهن، على الذهاب في اليوم التالي لجمع الحطب، ومعهم فاطمة في سيج الراكبي، وهو سيج فسيح يقع وسط الجبال، به أودية كثيرة، ويحوي أشجار السمر ونبات المخرمان وظفر وعسبق، والعديد من أنواع الأشجار سواها، تجمعها النساء من أجل استخدامه في



إشعال النار للطبخ.

ومنذ الصباح الباكر، انطلقت الفتيات الأربعة إلى أبعد مكان في سيح الراكبي، في منطقة لا تصلها النساء عادة، وعند وصولهن، بدأن بتنفيذ الخطة الشيطانية، حيث اتفقن على تحدي بعضهن، ومن منهن ستجمع أكبر عدد من عيدان الحطب، وكانت خطة زوجة الأب تقضي بأن تتفرق النساء، وتذهب كل واحدة منهن لوحدها تجمع الحطب، ثم يلتقين في آخر النهار وقبل المغيب في ذات المكان الذي انطلقن منه، ولأن فاطمة طيبة القلب، وعلى نياتها، حرصت على أن تتحداهن جميعاً، فذهبت بعيداً لجمع أكبر عدد ممكن من الحطب، ولم تكن تدري بما يضمرونه لها من خطط ومكائد، بل على العكس، أخذت تسلي نفسها بالغناء وتنشد وهي فرحة وسعيدة وتقول:

ياحميما وين الحمام يباتي

ويباتي في الغافة شمال الوادي

وصه راعي الشرق لا يتعنى



ولا ينقل (إزهابة¹) ولا يتمنى

تمكنت فاطمة من جمع أكبر عدد ممكن من عيدان الحطب، وكانت الفرحة تملأ وجهها بما جمعت من كمية كبيرة كانت على ثقة بأن الأخريات لن يتمكن من جمع مثلها، ففاطمة تتميز بذكائها وفطنتها وعشقها للتحدي والفوز.

للمت فاطمة كل الحطب الذي جمعته، وأخرجت من جيبها الحبال التي أعدتها زوجة أبيها لها خصيصاً، لتأتي المفاجأة بأن الحبال كانت بالية، وكلما حاولت فاطمة ربط رزم الحطب تقطعت الحبال، حاولت مراراً وتكراراً ولم يجد نفعاً، حتى تحولت الحبال إلى قطع صغيرة لا تفيد في شيء.

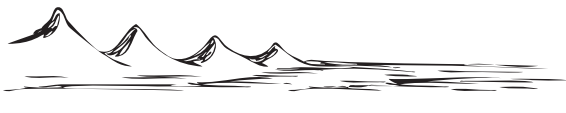
تعبت فاطمة وانتابها اليأس بعد أن رأت حال الحبال المقطعة حولها، نظرت إلى قرص الشمس، فلم تفلح في تمييزه كونه توارى خلف الجبال، وما هي إلا لحظات وسيحل الظلام. بدأ القلق يتسلل إلى قلبها، والحيرة اتخذت لها موضعاً في تفكيرها، إذ إن فاطمة خشيت

1 إزهابة جمع ومفردها زهبة وهي أغراض وعاطايا العروس.



أن تعود أدراجها من غير الحطب، فتوبخها زوجة أبيها، وفي ذات الوقت، تخشى الظلام. استعادت أنفاسها وقوتها، وبإرادة قوية لا تلين، نهضت مرة أخرى تبحث في المكان عن حبال ربما نسيها أحدهم لتستفيد منها في الربط، غير أنها وبعد بحث شاق لم تعثر على شيء. أثناء بحثها الأخير نسيت فاطمة أن الظلام قد أرخى سدوله حولها، وهي وحيدة في منطقة نائية لا بشر فيها، جلست على الأرض وتكورت حول نفسها ممسكة بواحد من عيدان الحطب الطويلة لتحمي بها نفسها من أي خطر قد يداهمها، غير أن ما هي عليه من خوف ويأس وقنوط جعلها تبكي بحرقة، تبحث عمن يساعدنها في العودة إلى بيتها حتى لو وبختها زوجة أبيها.

في تلك الأثناء، سمعت فاطمة وقع أقدام قوية لشخص ما تقترب منها، فتمالكت نفسها واستجمعت قوتها وتأهبت للدفاع عن نفسها، بدأت ملامح ذلك الشخص تظهر شيئاً فشيئاً، إذ بدا أنه طويل القامة، ويرتدي ثياباً غريبة، وقطع على فاطمة صمتها ورعبها بصوته



القوي الجهوري:

الرجل : من أنت؟ وماذا تفعلين هنا أيتها الفتاة؟؟

ردت فاطمة وهي ترتجف من شدة الخوف:

فاطمة : أنا فاطمة.. تائهة.. لقد ضيعتُ طريق

العودة إلى البيت

الرجل : لا أحد يتوه في أرضي..

فاطمة : صوتك مخيف.. من تكون؟؟

الرجل : أنا جنِّي الوادي.. وغير مسموح لأي أحد كان

الاقترب من مملكتي..

فاطمة : يا إلهي.. إنه النوبي الذي يتحدثون عنه

في القرية.. ألسنَ أنت آكل البشر؟؟ أرجوك.. أتوسل

إليك.. لا تأكلني..

حدث الجنّي نفسه بعد أن تقدم من فاطمة ورآها عن

قرب:

الجنّي : (في سره) إنها فتاة فائقة الجمال.. لم أر

جمالاً كهذا الجمال من قبل..

عاد الجنّي لمحادثة فاطمة..

الجنّي : اسمعي يا فتاة.. لن أكلك لكن بشرط..



فاطمة : ما شرطك؟

الجنى : أن تتزوجيني

فاطمة : ولكنك جنى.. وأنا إنسية.. كيف ستتزوجني؟؟

الجنى : إذن سأقتلك وأكلك..

التردد والخوف، جعلاً فاطمة تتسمّر في مكانها ولا تعرف بماذا تجيب ذلك الجنى، غير أنها اختارت الحياة، ووافقت على الزواج منه كي لا يقتلها. مرت الأيام، وعاشت فاطمة في كنف الجنى زوجة له، ثم أنجبت له طفلاً نوبياً، غير أنها لم تكن راضية بحياتها معه، بل إنها كارهة لحياتها التي فرضت عليها مع ذلك الجنى الذي لو أنها رفضته لابتلعها من أول يوم رآها فيه.

مرت الأيام سريعاً، وفقد والد فاطمة الأمل في العثور على ابنته، بعد أن جاب القرى والجبال والوديان بحثاً عن ابنته وبلا فائدة، الأمر الذي جعل الحزن يتمكن من قلبه، وفي ذات الوقت، أدخل الفرح والسرور إلى قلب زوجته وبنات جيرانها، اللواتي تأكدن من نجاح ما خططن له، وأبعدن الفتاة عن أبيها إلى الأبد.



في القرية، استغرب الأهالي لتعامل والد فاطمة مع شاة كانت تربيتها فاطمة قبل اختفائها، إذ إنه كان حريصاً على رعايتها كي لا يفقدها، فهي بالنسبة له آخر ذكرى تصله بابنته، وهي الوحيدة التي تمنحه الأمل بأن يجد ابنته الضائعة يوماً ما. اعتاد الأب إرسال الشاة فجر كل يوم مع قطعان أغنام أهل القرية، فتعود سميكة مكتفية ممتلئة، هذا الأمر أثار رغبة زوجة الأب، حيث إنها ورغم انقطاع أخبار فاطمة عن القرية، واحتمالية موتها الكبيرة، إلا أنها تخشى من عودتها في أي لحظة والتي ستفضح معها كل شيء. لذلك، وبعد أن وصلتها أخبار شاة فاطمة، قررت إرسال ابنها مع راعي القطيع، وطلبت منه أن يراقب الشاة، ويرى ما بها وكيف تحصل على طعامها ولماذا هي أسمن أغنام القطيع.

في اليوم التالي، ذهب ابنها مع راعي الغنم والقطيع إلى السبخ لرعي الغنم كما في كل يوم، وعند وصولهم إلى الراكبي، لاحظ ابن زوجة الأب انفراد شاة فاطمة عن القطيع، فلحق بها حتى وصلت الوادي، ثم واصلت السير إلى منطقة وسط الجبال، وابن زوجة الأب



خلفها لا تغفل عينه عنها، حتى وصلت الشاة إلى بيت كبير أشبه بقصر. بدأت ملامح الدهشة تظهر على وجه ابن زوجة الأب، وما هي لحظات إلا وسمع صوتاً نسائياً عذباً يغني:

فاطمة : شاتي يو شاتي أربع بنات راحوا الحطب ومعهم فاطمة زينة العرب.

انصعق ابن زوجة الأب مما رأى، حين تراءت أمام عينيه صورة أخته فاطمة وهي تطعم شاتها، فرك عينيه أكثر من مرة، ليتأكد من أن ما رآه حقيقة وليس حلماً أو سراياً:

الفتى : أجل.. إنها أختي فاطمة تطعم شاتها.. لكن.. لماذا هجرتنا وجاءت إلى هنا.. ولماذا تخفي نفسها.. علي أن أقرب منها وأتحدث إليها..

اقترب منها خطوات، فأحست فاطمة بوجوده، وتركت الشاة وبدأت تحقق في وجهه

الفتى : فاطمة.. أختي فاطمة..

تراجعت فاطمة خطوات إلى الوراء بعد أن سمعت



صوت أخيها، والرعب يملكها من أن يراه زوجها
الجنّي فيقتله. وعلى الفور تبادرت إلى ذهنها فكرة،
فركضت نحو أخيها واحتضنته، ثم أخذته إلى مكان
بعيد لا يراهما الجنّي فيه، وبدموعها التي انسالت
على خديها بدأت تروي له كل ما حصل معها، بدءاً
بتحدي الحطب، والحبال البالية وحتى زواجها من
الجنّي الذي فرض عليها، والقيود التي وضعها عليها
بألا تغادر هذا المكان أبداً.

تفاجأت فاطمة من أن أخاها يعي لحجم المكيدة التي
دُبّرت لها، فقال:

الفتى : إنها مكيدة من والدي.. بمساعدة أختي
وبنات الجيران من أجل جعلك تتوهين وسط الجبال
مع الوحوش والذئاب فتأكلك، وبذلك يتخلص منك،
لقد سمعتُ كل هذا

فاطمة : وكيف سمعتُ بهذا؟؟ وأين أبي؟؟ لماذا لم
يبحث عني؟

الفتى : سمعتُ خططهن أثناء بحثنا مع والدي عنك..
لقد كنّ يتهامسن بعيداً ولم يكتشفن وجودي قربهن



فسمعتُ كل شيء.. وقمتُ بإبلاغ والدي الذي غضب
غضباً شديداً واشتكى والدتي للقاضي.. لكنه سامحها
لاحقاً من أجلنا أنا وأختي..

فاطمة : وأين هو الآن؟؟ أشتاق لرؤيته

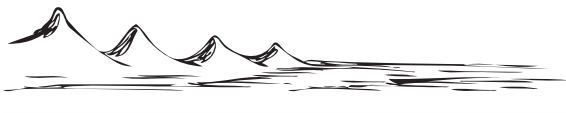
الفتى : إنه الوحيد الذي لم يفقد الأمل بعودتك يوماً
ما.. وما زال يبحث عنك ويسأل كل وافد إلى القرية
عنك.. والآن هيا معي لأعيدك إلى أبي وإلى منزلك..
فاطمة : كلا.. لا أريد لكم الأذى.. الجني إن درى
بأني تركته وغادرت إليكم فسيعاقبني ويعاقبكم..

الفتى : لن أتركك تعيشين هنا.. وسأساعدك في
القضاء على هذا الجني

فاطمة : اسمع لدي خطة.. لكنها خطيرة وقد تفقد
حياتك بسببها

الفتى : لا أهاب شيئاً.. وسأعيدك إلى البيت ولو
كلفني ذلك حياتي

فاطمة : النوبي لديه سيف حاد وقوي.. ضربة واحدة
بهذا السيف بإمكانها أن تقضي عليه.. سأرشدك إلى
مكان السيف.. لكن احذر.. لا تعاود ضربه بالسيف



مرة أخرى حتى لو طلب ذلك منك.. إنه سوف يقول لك.. اضربني مرة أخرى كي تقضي عليّ.. لكن إياك.. لا تسمع له.. لأنك إن عاودت الكرة سيعود للحياة وسيقضي علينا..

الفتى : حسناً.. هيا إلى منزلك.. هيا إلى السيف
فاطمة : لا تأتي معي.. سأدلك على طريق البيت وتعال بنفسك.. لكن احرص بأن تكون خطواتك عكس اتجاه الريح كي لا يكتشف وجودك.. فهو يشم رائحة الإنسان بسهولة..

ذهبت فاطمة قبل أخيها إلى البيت، ووضعت سيف الجنى في التنور، وفي آخر الليل وبعد أن غط الجنى في نوم عميق، أدخلت أخيها خلصة، ووضعت داخل التنور مع السيف، وغطت فتحة التنور بالقماش كي لا يراه الجنى. اعتدل الجنى من سريره وحدق بفاطمة وبنظرات حادة، حيث هي جالسة قربها والخوف قد تملكها بالكامل:

فاطمة : ما بك؟؟ لماذا استيقظت؟؟

الجنى : أشم رائحة إنسيّ بالقرب مني..



فاطمة : إنها رائحتي أنا.. هل نسيت بأنني إنسية
أيضاً!! وإن كان هنالك إنسي غيري.. فسأتلذذ بأكله
معك

ضحكت فاطمة ضحكة مصطنعة من أجل أن تشغل
رأس الجنى وتجعله يبتعد عن التفكير بوجود أخيها
المختبئ في التنور. غطّ الجنى في نوم عميق، وتحضرت
فاطمة للتوجه نحو التنور لإخراج أخيها والقضاء على
الجنى، غير أن صوت طفلها وهو يغني جعلها تتسمر
في مكانها:

الطفل:

خالي خلخل تحت المنخل

خالي خلخل تحت المنخل

من حسن حظ الفتاة وأخيها، أن الجنى نائم ولم
يستمع لما قاله الطفل، فذهبت فاطمة بخطوات سريعة
هذه المرة نحو التنور، وأزاحت عنه الغطاء، فخرج
أخوها وضرب الجنى بالسيف الذي حمله بيده فأصاب
عنقه، ولم يلتفت أخوها إلى كلمات الجنى وطلبه من
أخيها أن يعاود ضربه مرة أخرى حتى فارق الحياة.



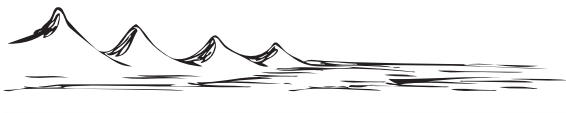
همّت فاطمة مع أخيها بمغادرة المكان، غير أن بكاء طفل الجنى، وصراخه الذي كان بمثابة نداء إلى أحد الجن للقضاء على خاله ووالدته بعد أن قتلا أباه، جعلهما يتوقفان عند الباب، فكرا ملياً بالطفل، وما يحمله من صفات أبيه الشريرة، وأنه سيكون جنياً مثل أبيه يقتل البشر ويتلذذ بدمائهم، فقرر الشقيقان حرقه من خلال غلي الزيت وسكبه عليه، وبذلك قطعاً دابر الجنّ من القرية إلى الأبد.

في طريق عودتهما إلى القرية، كان الخوف قد سيطر على قلب فاطمة من أن والدي زوجها الجنى الذي قتله أخوها، هما شريران مثل ابنهما، ولسوف ينتقمان منهما يوماً ما على ما فعلاه بوليدهما، غير أنها لم تبج بهذه الشكوك والمخاوف لأخيها، وآثرت الاحتفاظ بها لنفسها، مواصلين طريقهما نحو القرية. وما إن دخلت فاطمة بيت أبيها، سرعان ما تقافزت علامات السعادة على وجهه وقلبه، فأجلس ابنته قربه واحتضنها بحنان، لتقصّ بدورها له كل ما حدث معها بدءاً بتحدي زوجة أبيها في جمع الحطب وحتى قتل



أخيها للجنى وطفله.

مسح الأب دموعه ودموع ابنته التي سالت بسخاء
من على خدودهما، ووعداها بأن يعوضها عن كل ما
فات، فارضاً على زوجته وابنتها وبنات جيرانه تقديم
الاعتذار لفاطمة، لترجع المياه صافية إلى مجاريها.
بعد مدة، شاهد أهل القرية تلة جبلية وسط قريتهم،
لم يروها من قبل، وقرية كثيراً من منزل والد
فاطمة، وكان اندهاشهم واستغرابهم من وجود هذه
التلة كبيرين، أما الآخرون فقد دفعهم الفضول إلى
اعتلاء تلك التلة واللعب فوقها، والتي أصبحت عادة
شبه يومية لأهل القرية وخصوصاً أطفالها. أما
فاطمة فقد اختلف رد فعلها حينما رأت تلك التلة
الجبلية عن ردود أفعال جميع أهل القرية، إذ انتابها
شعور من الخوف والقلق والريبة فهي تعرف ما وراء
وجود هذه التلة الجبلية في هذا التوقيت، فبدأ لها أن
شكوكها ومخاوفها القديمة كانت في محلها، ووسط
إلحاح أهل القرية اعتلت فاطمة معهم التلة الجبلية،
وما أن وطأت قدماها التلة، اهتزت الأرض بهم، فهرب



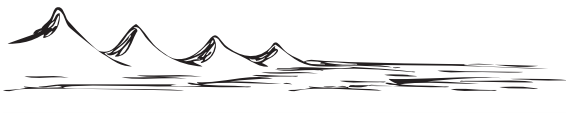
الجميع باستثناء فاطمة التي بقيت وحيدة على التلة،
وسمع أهل القرية صوتاً غريباً جهورياً قوياً مخيفاً
يقول:

نحن والدا النوبي.. نحن والدا النوبي..
هدأت الأصوات، وعادت القرية إلى أوضاعها الطبيعية،
غير أن أهل القرية بعد تلك الحادثة، لم يجدوا التلة..
ولم يجدوا فاطمة.

وخلصت الخروقة..

يَوْمَ





يرم 1

كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت هنالك قرية ساحلية تعج بالسماك الوفير، حيث إنها ومع شروق شمس كل يوم يتجمع الصيادون فيها عند شاطئ البحر، و(ضَغْوَة 2) تتلوها (ضَغْوَة)، ينطلق الصيد حتى مغيب الشمس، حيث الجميع منهمك في عمله المحدد له، رجالاً ونساءً وأطفالاً.

و ذات يوم ماطر شديد الرياح، كان النوخذا سعيد على مركبه في البحر، ورمى شباكه في انتظار أن يفوز بصيد ثمين، وحين أحس بأن شباكه أمسكت بحمل ثقيل، فرح سعيد وأمر البحارة بسحبها إلى الشاطئ، غير أن الشباك بما حوته من أسماك كثيرة علقت بجسر تحت البحر، وفشل البحارة في سحبها إلى الشاطئ، فبات النوخذا سعيد أمام واحد من خيارين: إما أن يترك

1 يرْم تسمية شعبية للحوت الأحذب.

2 ضَغْوَة طريقة صيد معروفة في الإمارات وهي رمي الشباك بإحاطة الموقع المطلوب منه الصيد على جانبي الشاطئ ويقوم الصيادين بسحب الشباك.



صيده الثمين، وإما أن يقوم بفكها من الأسفل، وهذا الأمر لا يقدر عليه سوى رجل واحد، يدعى (الغَيْص1)
عويكل. فاختار النوخذا الخيار الثاني:

النوخذا : وين الغيص عويكل.

البحارة : عويكل اكيد في وادي خسارة

النوخذا : هاتوا عويكل وبنعطيه نصيبه مرتين
وعلى الفور انطلق أحد البحارة إلى وادي خسارة لجلب
عويكل، الذي وجده يجلس قرب غافة في ذلك الوادي،
والذي رد على البحار قائلاً:

عويكل : حد (يَضْغِي2) في ريح الشمال

البحار : خلاص نحنا ضغينا والياخنا علقت بجسر

تحت البحر والنوخذا سعيد بياك تغوص تفتكها

عويكل : ريح الشمال والبحر خطر والموج عالي

ويمكن (يَنْطَر3) الليخ، والليخ اكيد (مَتْرُوس4)

1 الغَيْص الغواص.

2 يَضْغِي يصطاد بشباك الضغوة.

3 يَنْطَر تمزق.

4 مَتْرُوس مليء.



(لُخْم 1) و(يرايير 2)

البحار : النوخذا قال بيعطيك نصيبك مرتين.. ما شي وقت تفكر..

وعاد البحار ومعه الغيص عويكل إلى منطقة الضغوة، حيث من فوره ركب (الشَّاحُوف 3) ووصل إلى الموضع الذي علقت فيه الشباك، فاندفع غائصاً حتى عرف تفاصيل المشكلة، غير أن حركة الشباك في عمق البحر أعاقته قدرته على فكها. خرج عويكل من البحر وجلس على حافة الشاطئ يفكر في حل لهذه المعضلة، فما كان منه إلا أن يغوص مرة أخرى بعد أن عثر على ضالته، وهي أن يقوم بقطع جزء من الشباك، وبعدها يقوم بإعادة ربطها، جلب معه سكيناً من الشاحوف وبالفعل قام بقطع جزء من الشباك وفكها، غير أن أسماكاً كثيرة هربت من الشباك أثناء عملية الفك والربط، وأصاب (لُخْمَة) كبيرة الحجم عويكل في ساقه بشوكتها السامة، التي قد تؤدي بحياة ضحيتها

1 لُخْم سمك الرقيطة أو الرابض تحمل شوكة مسننة سامة.

2 يرايير أسماك القرش.

3 الشَّاحُوف نوع من أنواع قوارب الصيد الخشبية.



لشدة خطورتها.

تجاهل عويكل ألم ساقه ولم يكثرث له، وقام بربط الشباك، ثم صعد على ظهر الشاحوف ملوحاً للبحارة بقطعة قماش بيضاء بأنه أنجز مهمته، ويقع عليهم البدء بسحب الشباك، وفي ذات الوقت، لوح بطريقة أخرى مغايرة يفهمها البحارة والتي تشير إلى طلب النجدة والمساعدة، فتحرك نحوه أحد البحارة حتى وصل إليه، ونقله معه إلى الشاطئ.

أما البحارة فأنهمكوا بجرّ الشباك التي كانت ممتلئة بالأسماك رغم هروب بعضها، تلك الشباك التي أدخلت السعادة إلى قلوب البحارة بصيد وفير كان عويكل هو البطل الذي أنقذهم، إذ لولاه لهربت جميع الأسماك ولما تمكنوا من سحب الشباك إلى الشاطئ.

عويكل المصاب، نقله البحارة إلى بيت المطوع من أجل علاجه بدنياً وروحياً، حيث توافد البحارة على بيت المطوع من أجل تقديم الشكر لعويكل، والاطمئنان على صحته، فتضاعفت السعادة التي في داخلهم حينما رأوا عويكل في حالة جيدة، بعدما أخرج المطوع الشوكة



من ساقه، وعالجه بطريقة الكيّ، فتماثل للشفاء.
في تلك الزيارة، جرى ما لم يكن في الحسبان، إذ إن
البحارة ولشدة فرحهم بما قدمه لهم عويكل من عون،
أخذوا يطلقون عليه لقب النوخذا، الأمر الذي أثار
حفيظة النوخذا سعيد، غير أنه لم يفصح عن ذلك ولا
حتى بكلمة، وفضل كتمان غضبه، باعتبار أن شخصاً
مثل عويكل لا يؤبه له، كونه لا يمتلك صفات النوخذا،
والتي في مقدمتها أن يمتلك (عَامِلَة 1) أو (مَحْمَل 2).
تفشى لقب عويكل النوخذة على السنة البحارة، وصار
الجميع لا ينادونه إلا بعويكل النوخذة، الأمر الذي
أثار غضب جميع نواخذة المنطقة هذه المرة وليس
النوخذة سعيد لوحده، باعتبار أن إطلاق اللقب على
كل من هب ومن دب، سيؤثر على سمعة النواخذة
أمام التجار والأعيان في القرى الأخرى، من أجل ذلك
اجتمع النواخذة الكبار، واتفقوا على مقاطعة عويكل،
لا يعمل عند أحد، ولا يستعين به أحد، باعتباره وفق ما
يعتقدون أنه تجاوز حدوده حينما صدق أنه نوخذة وأنه

1 عَامِلَة قارب الصيد بأدوات ومعدات الصيد.

2 مَحْمَل سفينة خشبية.



بإمكانه منافسة الكبار.

لم يتوقع عويكل أن يعامله نواخذة المنطقة هذه
المعاملة، فانقطع مصدر رزقه الوحيد على ذنب
ليس ذنبه، فلقب النوخذا لم يطلقه هو على نفسه،
بل أطلقه البحارة عليه لشجاعته ومعرفته بالبحر،
وكذلك لطيبة قلبه وحسن أخلاقه، وبعد أن ذاق من
ضنك العيش أمره، اختار عويكل الرحيل من القرية،
ويمم وجهه صوب وادي يعكل فوق الجبال، حيث عاش
فيه أهل والدته، أما والداه فقد فارقا الحياة منذ
سنين، لذلك سيعيش فوق الجبال بلا أهل ولا قريب
ولا صديق.

قبل وصول عويكل إلى وادي يعكل، وأثناء مروره
(بطوي¹) (الحلّاه²) كي يشرب ويروي عطشه، لمح
فتاة جميلة كانت واقفة قرب (الطوي)، تبحث عن
يساعدها في الحصول على قليل من الماء تشربه،
فبادرت الفتاة بالسؤال:

الفتاة : هل بإمكانك أن تملأ لي القليل من الماء.

1 بطوي البئر.

2 الحلّاه منطقة جبلية في دبا وسميت الحلّاه لأن مياه آبارها حلوة المذاق.



دون أن يردّ، توجه عويكل نحو (الطّوي) بقوة وثبات،
وأدلى دلوّه وملاه بالماء وقدمه للفتاة التي شربت حتى
ارتوت، وقبل أن يغادر، سأّلها إن كانت بحاجة إلى أي
مساعدة أخرى، نظرت إليه الفتاة وقالت:

الفتاة : أنا تائهة.. خذني معك

عويكل : آخذك معي وأنت لا تعرفيني!! صحيح أنك
فتاة طيبة وجميلة وكل شاب يتمنى مرافقتك.. لكني
لا أقدر.. وأنصحك بالأ تثنّي بأحد.. فأنت لا تعلمين
من هو صاحب النوايا الحسنة.. ومن يملك نوايا سيئة
قد يؤذيك.. أعتذر منك.. أنا ذاهب ولوحدتي..

الفتاة : إلى أين؟؟

عويكل : إلى وادي يعكل..

فردت عليه الفتاة باستغراب واضح:

الفتاة : وادي يعكل!! لا أحد هناك..

عويكل : وكيف عرفت ذلك!!

الفتاة : أهلي أخبروني بذلك.

عويكل : أعرف هذا.. لكنني ذاهب للعيش هناك..



توجد (حَامِيَّة1) لجدي من أُمي أعيش فيها..
أُستودعك الله..

غادر عويكل المكان وابتعد وفي داخله غصة جاءت بسبب تركه لتلك الفتاة الجميلة، حتى أنه بحث بينه وبين نفسه عن سبب واضح ومقنع جعله يقرر عدم أخذها معه، حتى أنه لا يعرف اسمها ولم يسألها عنه ولم يطل الحديث معها، وصار يلوم نفسه عن تضييعه لها، لكن قد وجد من يسامره في الطريق ويخفف عليه وحشة الوحدة، ويناصره في مجابهة الذئاب والحيوانات المفترسة. مضى عويكل في طريقه والفتاة ماثلة في ذاكرته غير قادر على نسيانها أو عدم التفكير بها.

جلس عويكل ليستريح من عناء السفر تحت شجرة سمرة، وما هي سوى لحظات حتى صرخ بأعلى صوته ثم فقد وعيه. أفاق بعدها وهو لا يعرف ما قد حدث له، سوى أنه أغمي عليه لسبب أو لآخر، وحين التفت إلى يمينه صعقه منظر الفتاة الجميلة ذاتها وهي تجلس قربه، وسرعان ما ذاب خوفه وتحول إلى سعادة،

1 حَامِيَّة بيت مصنوع من حجر وطنين بشكل هرمي ودائري ويسقف بنبات العسبق.



حينما وضع القدر الفتاة التي لم تغب عن باله لحظة أمامه مرة أخرى.

قطع على عويكل تلك اللحظات ألم أحس به في ساقه، فكشف عنها ليرى ما حلّ بها، ليجدها قد لُتت بقطعة قماش، فوجه نظرة مستغربة إلى الفتاة وسألها:

عويكل : ما الذي حدث لي؟؟ وماذا تفعلين قربي؟؟
الفتاة : كنت في طريقي إلى وادي كوب، وسمعتُ صرخة قوية صدرت من هنا، فتيقنتُ بأن شخصاً ما يطلب المساعدة، لذلك جئتُ مسرعة إلى هنا فوجدتك فاقداً للوعي وقدمك تنزف، لقد تعرضت للدغة (غُول¹)، لذلك أخرجتُ السم وعالجتك وها أنت لا تزال على قيد الحياة وبصحة جيدة.

عويكل : شكراً لك.. لقد أنقذت حياتي.. وأنا مدين لك بحياة.. فكيف لي أن أخدمك وأرد الدين..

الفتاة : أوصلني إلى وادي كوب.. فأنا أخاف من السير لوحدي

وعلى الفور وافق عويكل على رد جميل الفتاة بأن ينفذ

1 غُول ثعبان.



كل ما تطلبه منها، خاصة أن الدرب إلى وادي كوب على نفس طريق وادي يعكل، ويقع بعده. مشى الاثنان معاً، ورأس عويكل لا يكف عن التفكير، فهو لا يريد أن يضيع هذه الفرصة أيضاً بالحديث مع الفتاة والتعرف عليها عن قرب، فأخذ يحدث نفسه:

عويكل : هل أبدأ أنا بالحديث؟ أم أنتظرها تبدأ؟ كيف سأبدأ؟ ماذا سأقول لها؟ هل أسألها عن اسمها؟ كلا.. كلا.. سأبدأ بالسؤال عن حياتها.. لا.. سأسألها عن سبب ذهابها إلى وادي كوب؟

وبينما انشغل عويكل في التفكير بالأسئلة التي سي طرحها على رفيقة دربه، كانت الفتاة تنظر إليه وتبتسم، وبادرت هي بالحديث:

الفتاة : أظن أنني على علم بما يدورك بخلدك.. أنت تمتلك الكثير من الأسئلة.. وأنا أيضاً.

ضحك عويكل من انكشاف ما يدور في رأسه للفتاة، وقال:

عويكل : كأنك تقرئين أفكاري

الفتاة : اسمي عشبة.. فتاة يتيمة أعيش مع عمي..



كنتُ في رحلة مع عمي وبناته للساحل لبيع الحطب
و(الصَّخَامُ¹).. وبالمقابل نحصل على السمك والمالح..
ولكن للأسف تركوني جميعهم وذهبوا.. حاولت
البحث عن درب العودة ولكني لم أجده..

عويكل : مسكينة.. أنتِ بلا أهل مثلي
الفتاة : أنا على يقين من أنهم تعمدوا تركي.. إنهم لا
يحبونني ولا يرغبون بوجودي معهم في المنزل..
عويكل : أنا أيضاً يتيم يا عشة.. كنتُ أعمل في الغوص
بحثاً عن اللؤلؤ.. واجهتُ المشقات والمتاعب.. ثم عملتُ
بعدها لدى (الضَّغَايَة²) على الساحل، إلى أن أنقذتُ
شباك النوخدة سعيد من التلف، وأثناء غوصي نحو
الشباك العالقة.. حيث رياح الشمال في ذلك اليوم..
تعرضت لضربة شوكة اللخمة السامة.. ولله الحمد
عالجني المطوع ونجوت من شرورها.

ثم أكمل عويكل سرد باقي حكايته مع النواخذة، ولقب
النوخذا الذي جلب له الوحشة والوحدة والكثير من
المتاعب، وأجبره على الذهاب بعيداً إلى وادي يعكل.

1 الصَّخَامُ الفحم.

2 الضَّغَايَة البحارة أغلب طرق صيدهم بواسطة شباك الضغوة.



وبعد أن أكمل حكايته تنفس الصعداء ونظر نظرة
حنونة إلى عشبة وقال:

عويكل : وكأن الله أرسلك إلي يا عشبة.. هل تتزوجيني
ونعيش أنا وأنت الحياة السعيدة الهائلة.

فردت عليه عشبة باستحياء وخجل وارتباك:
عشبة : ماذا؟ كيف؟ لا أعرف.. ماذا عن أهلي.. أنا
متأكدة بأنهم سيرفضونك.. فتقاليد عائلتنا تفرض
علينا ألا نتزوج من شخص إن لم يكن من عائلتنا.

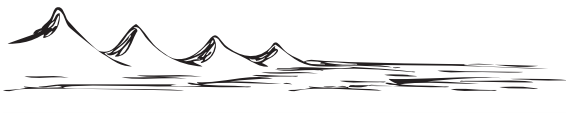
عويكل : لكنك ذكرت أنهم لا يحبونك.. ولا يرغبون
بوجودك معهم.. ويعاملونك أسوأ معاملة.. وافقي
على الزواج ولا أحد سيعلم.. لقد تركوك وحيدة تائهة
وسط الأودية والجبال والذئاب والوحوش..

فكرت عشبة بما قاله عويكل، ثم بكل تردد واستحياء
جاءته موافقتها:

عشبة : أنا موافقة..

عويكل : نحن قرييون من منطقة سنا.. سنمر على
بيت المطوع و(بَنِمْلِك¹) عنده.. وبعدها نتوجه إلى

1 بَنِمْلِك عقد قران.



وادي يعكل.

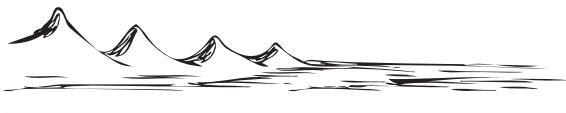
تزوج عويكل وعشبة، وعاشوا بهناء في وادي يعكل.
ومرت الأيام والسنين والسرور لا يفارق الزوجين، وفي
يوم من الأيام، وبينما كان عويكل منهمكاً في البحث عن
خلايا العسل بين الجبال، صادفه مارة من الساحل،
فناداهم وعرفوه. إنهم أصدقاءه البحارة القدامى،
فجلسوا جميعاً يتبادلون حديث الذكريات، ويقصون
على عويكل ما حلّ بالساحل وأهله:

أحد البحارة : منذ فترة هاجمنا (يرم).. يأكل
صيدنا ولا يترك لنا سمكة واحدة في الشباك.. وكأنه
قد سلط علينا.. يتقضى أثرنا من منطقة إلى منطقة..
إذا دخلنا عرض البحر لحقنا وأكل صيدنا.. وفي مرة
حاول إغراقنا..

وواصل البحار قصّ ما حلّ بالقرية بعد رحيل عويكل،
إذ إن البحارة هجروا الصيد خوفاً على أنفسهم
وسفنهم، وباتوا بلا عمل، حتى وصل بهم الحال إلى
ترك قريتهم والتوجه إلى القرى المجاورة باحثين عن
مصدر رزق يعيلهم ويطفئ جوع أطفالهم، بعد أن حرم



عليهم (اليرم) نزول البحر، وسرق منها صيدهم.
بادر عويكل بدعوة أصدقائه البحارة القادمي إلى بيته،
وقدم لهم أجود ما عنده من طعام، وأثناء جلوسهم
وتسامرهم على العشاء، وصل إلى مسامع زوجته عشبّة
الحوار الذي دار بين زوجها وبين البحارة، فأشارت له
من بعيد بأن يتركهم ويأتي إليها، ولَبَّى عويكل النداء:
عشبّة : إسمع.. إياك أن تعينهم على ترك قريتهم
والذهاب للعمل في مكان آخر.. أخبرهم بأن يعودوا إلى
الساحل.. وستلتحق بهم أنت وتخلصهم من (اليرم).
اندهش عويكل من حديث زوجته وما تطلبه منه:
عويكل : وكيف سأخلصهم من اليرم؟ من أكون أنا
لأقضي على وحش بحري مثل هذا الوحش؟ أنت لا
تعرفين اليرم.. إنه ضخم يلتهم كل شيء.. ألا تخافين
على زوجك منه أن يلتهمه؟
الفتاة : افعل ما أطلبه منك ولا تخف.. وسأكون
عونا لك ولن أتركك.. صدقني يا عويكل.. إذا تغلبت
على (اليرم) ستكون لك (عاملة) كبيرة وستكون أنت
النوخدة.



عويكل : لكن كيف؟ كيف بإمكانني القضاء على
(اليرم)؟

الفتاة : اصنع رمحاً من شجر السمر.. وضع في
مقدمته اللبان وورق السدر المطحون.. وستقضي عليه
بضربة قوية توجهها نحو رأسه.

وافق عويكل على طلب زوجته على مضض، وأسئلة
كثيرة تحاصر رأسه؟ كيف لزوجته الطيبة المسكينة أن
تعرف هذه الأمور؟ ومن أين تستمد قوتها ومعلوماتها
وهي امرأة لا ناقة لها في البحر والصيد ولا جمل.

وفي صباح اليوم التالي ودع أصدقاءه البحارة ووعدهم
بأن يحضر بنفسه إلى الساحل بعد يومين، وسينقذهم
من (اليرم) ويقضي عليه نهائياً. مضى البحارة في
طريق عودتهم إلى القرية، وظلّ عويكل في حيرة من
أمره، والندم قد سيطر عليه من أنه وعد وعداً يصعب
عليه تنفيذه، وحين لاحظت عشبة القلق والحيرة التي
غلظا وجه زوجها بادرته بالحديث:

الفتاة : لا تخف يا زوجي العزيز.. انطلق وافعل
ما قلته لك.. حين يبدأ البحارة بالضغوة.. ستجد



(الزُعِيمَةُ 1) عند حافة الساحل.. وكأنها تنتظرك..

بعد مسيرة يومين، وصل عويكل إلى الساحل، والأسئلة لا تكف عن الدوران في رأسه، فيما يخص حال زوجته ومعرفتها بتفاصيل البحر، وكأنها تمتلك قدرات غير طبيعية لا يمتلكها الآخرون.

استقبله البحارة بحفاوة وفرح، وتفاجؤوا بوجود (الزُعِيمَةُ) التابعة لعويكل، قطع عليهم عويكل شعور المفاجأة بإشارة منه للبدء بالضغوة، فرمى الصيادون شباكهم وانطلقت الأهازيج البحرية بأعلى صوت، بينما ظل عويكل متردداً وخائفاً من حضور (اليرَم) الذي لم يترك لعويكل فرصة للتفكير الطويل، حيث هاجمهم بكل ما أوتي من قوة، وحاول تحطيم زعيمة عويكل، لكنه لم يتمكن منها، فالتف على شباك الصيادين ليلتهمها، فانقض عليه عويكل الذي أجبره على ترك الشباك، لكنه سقط في البحر بعد أن أنهكته محاولات إبعاد (اليرَم)، فما كان من (اليرَم)

1 الزُعِيمَةُ قارب صيد خشبي يشتهر في المنطقة الشرقية ويطلق عليه البعض البقارة.



إلا أن يعاود الكرة مع (الزُعِيمَة) ليحطمها ويغرقها،
وحينما رأى (اليرَم) عويكل يُموج مع أمواج البحر،
باغته مسرعاً لكي يأكله، فامتدَّت يدان ظهرتا فجأة
من الأعماق، يدا عشبة زوجته حاملة عويكل على ظهر
المحمل، الذي لم يعط لنفسه فرصة للراحة، بل حمل
الرمح على الفور وطعن (اليرَم) في منتصف رأسه
ليفارق الحياة وينتهي كابوسه إلى الأبد.

الفرح عاد من جديد إلى أهل القرية بعد القضاء على
الوحش، وحضر النواخذة وأعيان القرية جميعهم
واحداً تلو الآخر لتقديم واجب الشكر لعويكل، وفي ذات
الوقت، الاعتذار منه على ما بدر منهم، مقدمين له
الهدايا والعطايا، أهمها: منزلاً يعيش فيه، و(عاملة)
للصيد، ولقب النواخذة.

قبل عويكل ذو القلب الطيب اعتذار النواخذة،
وسامحهم على كل ما بدر منهم، لكنه رفض الهدايا،
وقرر الرجوع إلى وادي يعكل، إلى زوجته عشبة. زوجته
التي يريد أن يعرف سرّها. فمن تكون هي عشبة؟

وخلصت الخروفة..

حَرَّاشْ





حَرَاشُ 1

يحكى أَنَّهُ كانت هنالك بلدة هادئة وجميلة، تقع على ساحل البحر، وأهلها الطيبون يعтаشون من صيد الأسماك، حيث يختار الصيادون مواسم محددة للصيد على مدار السنة، من أجل أن يحصلوا على الوافر من السمك، ومن تلك المواسم المعروفة، موسم سمك (الخَبَاطُ 2) وموسم (الحَرَاشُ) وموسم (القَبَابُ 3) و(البَرِيَّةُ 4). أما أساليب الصيد فتختلف بين بحاري أهل البلدة، منهم من يفضل الصيد (بالقَراقرير 5) ومنهم من يختار (اللفاح 6) بينما يفضل الآخرون الصيد بطريقة (الضَّغْوَةِ). صيادو تلك البلدة الطيبة أيضاً، يختارون أماكن الصيد بعناية ودراية، فالزمان والمكان هما من يحددان وفرة

1 حَرَاشُ سمك الشعري.

2 الخَبَاطُ صغير سمك الكنعد.

3 القَبَابُ سمك التونة.

4 البَرِيَّةُ سمك السردين الصغير.

5 القَراقرير جمع ومفردها قرقور وهو من أدوات الصيد.

6 اللفاح إحدى طرق الصيد.



ما ستحملة شباكهم، بعضهم يذهب إلى عرض البحر (بالزعايم) أو (الشَّواحِف1)، والبعض الآخر يفضل الصيد قريباً من الشاطئ، أما نساء البلدة فيجلسن تحت ظل (السُّبْلَة2) منتظرين عودة الصيادين، منهن من تنتظر زوجها وأخريات ينتظرن أبناءهم أو آباءهم، وتتلخص مهمة النساء في مساعدة البحارة عند عودتهم من الصيد، فيحملن الأسماك وينقلنها من المحامل إلى الشاطئ.

في تلك البلدة، كانت هناك امرأة تدعى (صَمْعَه)، متزوجة منذ زمن طويل ولم يرزقها الله بأولاد، الأمر الذي غلّف حياتها بالحزن، وباتت أعظم أمانيتها أن يرزقها الله الولد. وفي يوم من الأيام، حيث الصيادون قد عادوا من رحلة صيد (الحَرَّاش) بالوفير من السمك، وأصواتهم تعالت بأهازيج البحر، وبعد أن نزلوا يحملون (بِمَشاكيك3) صيدهم الثمين من سمك (الحَرَّاش)، كانت (صَمْعَه) واقفة على مقربة

1 الشَّواحِف جمع ومفردها شاحوف وهو قارب خشبي.

2 السُّبْلَة مظلة مصنوعة من سعف النخيل المرصوص.

3 مَشاكيك مجموعة من الأسماك تم ربطها ببعض .



منهم، تحقق النظر بشكل سمك الحَرَّاشُ الجميل، بلونه البني المائل إلى البرتقالي، وبعضه ذو اللون الفضي، ومن شدة جمال سمك (الحَرَّاشُ)، تمتَّ صمعه في داخلها أن يرزقها الله طفلاً حتى لو كان سمكة (حَرَّاشُ).

مرت الأيام وبدأ جسد صمعه يتغير، فقد أنعم الله عليها بالحمل، وبعد معاناة شديدة مع الحمل، رزقت صمعه بما تمتَّ، طفل على شكل (سمكة حَرَّاشُ)، في حادثة غريبة أدهشت أهل البلدة، وأثارت حفيظتهم وتساؤلاتهم، وكذلك وضعت صمعه وزوجها في حالة استغراب شديد، غير أن صمعه كانت الوحيدة التي لم تلق بالاً لا لزوجها ولا لأهل البلدة، وفرحت راضية بما رزقها الله بعد طول انتظار. ولأن المولود سمكة، احتارت صمعه أين تضعه، فهي بحاجة إلى بيئة مائية كي يعيش فيها، فاختارت (الحب¹)، مكاناً تضع فيه وليدها، بعد أن ملأت الحب بالماء، ليسبح حَرَّاشُ فيه بحرية وسعادة. منذ ذلك الوقت والسعادة لا تفارق

1 الحب إناء فخاري لحفظ الماء.



قلب صمعه، بعد أن ملأ عليها وليدها حياتها حتى لو كان سمكة، تطعمه مرة، وتحذثه مرة، وتلاعبه مرة، فأصبح ونيسها الذي لا يمكنها أن تستغني عنه، وسدّت أذنيها عن أحاديث أهل البلدة عنها، واستهزأهم بها وبولدها، على أنها وبعد انتظار طويل حين حملت لم تزرُق إلا بسمكة.

صمعه هذه رغم موقف أهل البلدة منها، إلا أنها كانت محبوبة عندهم، يكونون لها المودة والتقدير، كونها امرأة طيبة تساعد الجميع ولا تؤذي أحداً، وكذلك لإشفاقهم عليها كونها طلبت الولد ولم تزرُق إلا بسمكة، لذلك، من أجل ذلك اجتمع الصيادون من أهل صمعه، واتفقوا فيما بينهم على إسعاد قلب صمعه من خلال التعامل مع ولدها حَرَّاش على أنه طفل سليم، فقررُوا أن يحملوا حَرَّاش معهم إلى رحلة الصيد، ورغم معارضة صمعه وخوفها على ولدها من البحر، إلا أن الصيادين أخذوه معهم بعد أن أعطوا صمعه الوعود والعهود على أن يحافظوا عليه وأن يعيدوه كما أخذوه سليماً معافى.



حمل الصيادون حَرَّاشٌ على متن (الزُعِيمَة) التي انطلقت بهم إلى جزيرة اللؤلؤ، وعند وصولهم تفاعاً الصيادون بطلب جاء من حَرَّاش، حيث إنه أراد منهم أن يقوموا بإنزاله في البحر وهو داخل (الحب)، تردد الصيادون في فعل ذلك خوفاً من تعرضه للأذى من قبل أسماك أكبر منه، أو أن تهاجمه أسماك مفترسة (كاليرَيُور¹) وغيرها، فيكون لقمة سائغة في جوفها، أو أن يفقدوه، وبذلك يخلفون وعودهم لصمعه بأن يحافظوا عليه سليماً. غير إن إصرار حَرَّاش الكبير على نزول البحر، وتهديده بأنه سيقفز بنفسه إن لم ينفذوا طلبه، جعل الصيادين يرضخون لرغبته، ومن ثم ينزلوه بعد أن وضعوا (كِييَال²) مكان إنزاله، بعد ذلك تركوه وحيداً على أمل الرجوع إليه بعد الانتهاء من الغوص لجمع المحار.

أنهى الصيادون أعمالهم في جمع المحار، وقبل المغيب عادوا إلى النقطة التي أنزلوا فيها حَرَّاش، والخوف

1 اليرَيُورسمك القرش.

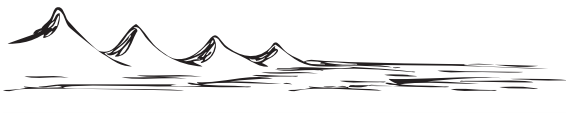
2 كِييَال كرب النخل يوضع كعلامة للاستدلال على شي ما في البحر مثل علامة القراقير.



والقلق قد تمكنا منهم خشية فقدان حَرَّاش، أو تعرضه
لأذى، وعلى الفور قام الصيادون بجر حبل (الحب)
من قاع البحر وفي وسطه حَرَّاش، وسمعوا صوت
حَرَّاش قوياً وعالياً ينادي:
حَرَّاش : لا ترفعوني.. لا ترفعوني على ظهر
(المَحْمَل)

أحد الصيادين : لماذا ؟ لماذا ؟
حَرَّاش : لدي (قَرَع1) من الحجم الكبير ويجب
عليكم حمله قبل حملي وإلا لن أعود إليكم
أحد الصيادين : ما هذه المصيبة التي جلبتها لنا ؟
ومن أين أتيت بالقَرَع ؟
ظل صوت حَرَّاش عالياً ومنادياً بعدم رفعه مستمراً،
بينما الصيادون وقعوا في حيرة من أمرهم بين رفعه
وابقائه، فهم يخشون تركه ولا يريدون الإخلال
بوعدهم لأنه صمعه، وفي ذات الوقت جعلت تصرفات
حَرَّاش البحارة في قلق منه، فأجمعوا أمرهم في النهاية
إلى حمل حَرَّاش والقَرَع معاً على ظهر المركب والعودة

1 قَرَع ثمرة القَرَع.



إلى الديار.

رجع الصيادون إلى البلدة، حيث النساء وكما جرت عليه العادة في انتظارهم والترحيب بعودتهم، وتقدمت صفوف المنتظرات أم حَرَّاشُ التي تقاسمتها مشاعر الاشتياق لابنها، وخوفها عليه من تلك الرحلة، تتلفت يميناً ويساراً بحثاً عن ابنها، إلى أن قرّت عينها بنزول الصيادين من على ظهر المحمل وشاهدت حَرَّاشُ معهم، وبعد أن سلم على أمه واطمأنت هي أيضاً عليه، وقع بصر حَرَّاشُ على بنت النوخذا وهي تستقبل أباه العائد من الصيد، فتراقص قلبه ودق دقات سريعة وامتلاّت روحه بالإعجاب من أول نظرة. ظل حَرَّاشُ ساهراً تلك الليلة، فبنت النوخذا الماكثة في تفكيره حرمت عيناه من النوم، وحين أشرقت الشمس، نادى حَرَّاشُ والدته التي كانت تعد الفطور، وأسرّها بما يمتلكه من مشاعر نحو بنت النوخذا، وطلب منها أن تزوجه إياها، ابتسمت أمه له، ثم في تردد واضح قالت له:

صمعه : يا ولدي.. من الفتاة التي ستقبل بالزواج من



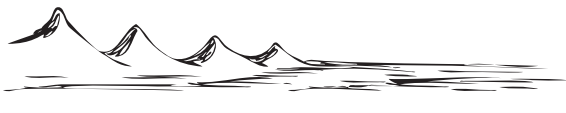
سمكة!!

حَرَّاشُ : أريد أن أتزوج بنت النوخذا.. ولا فتاة غيرها.

صمعه : بنت النوخذا صعبة المنال يا ولدي.. تقدم لها الكثيرون لكن أباهم يرفض على الدوام.. يبحث عمن يليق ببنت نوخذا.. فكيف سيوافق على تزويج ابنته منك...!!

تغيرت ملامح وجه حَرَّاشُ إلى الحزن، وبدأت الدموع تسيل على وجهه، مسحت صمعه دموع ولدها ووعدته بأن تسعى في أمر زواجه من بنت النوخذا. مضت عدة أيام وصمعه لا تزال مترددة في الإقدام على خطوة تزويج ابنها من بنت النوخذا، فهي لا تريد أن تصبح أضحوكة أهل البلدة إن سمعوا بأن ابنها السمكة يريد الزواج من بنت النوخذا، وهي كذلك، لا تريد أن تجرح قلب ولدها حين يصله خبر رفضه. لاحظ حَرَّاشُ تردد أمه، وتجاهلها لأمر خطبته، فتقدم نحوها قائلاً:

حَرَّاشُ : اسمعي يا أمي.. إن لم تذهبي لخطبة بنت النوخذا سأقفز من الحب وألقي بنفسي على الأرض



لكي ينقطع نفسي وأموت..

حينها اتخذت صمعه قرارها بأن تنفذ رغبة ولدها،
وبالفعل، أوكلت هذه المهمة إلى إحدى نساء البلدة،
فجاءها الجواب سريعاً، حيث إن النوخذا خالف توقعات
جميع أهل البلدة بموافقته على زواج ابنته من حَرَّاشُ،
شرط أن يقدم لابنته مهراً بما يعادل وزنها ذهباً، حيث
اختار النوخذا هذا الشرط التعجيزي لعلمه المسبق
بأن عائلة حَرَّاشُ لا تملك المال الكافي لإحضار كل
ذلك الذهب، وبذلك يكون رفضه مهذباً دون أن يجرح
مشاعر حَرَّاشُ وأمه.

ترددت صمعه في إخبار ولدها بالرد، وكتمت الخبر ولم
تبح به له، وحين حلَّ الليل، جلس حَرَّاشُ قبالتها والقلق
يتسرب من وجهه، وبعد إلحاح كبير خرجت صمعه عن
صمتها، وأخبرته برد النوخذا، والمهر الذي فرضه لتزويج
ابنته، فارتسم الفرح سريعاً على وجه حَرَّاشُ، وكان رده
أنه يستطيع جلب ذلك المهر حتى لو كان ضخماً، الأمر
الذي جعل الدهشة ترتسم على وجه أمه صمعه:

صمعه : من أين لك هذا الذهب؟ نحن عائلة لا تملك



من النخود ما يسد طلب النوخدا.

حَرَّاشُ : لا عليك يا أمي.. افتحي القرع الذي جلبته
من رحلة الصيد مع البحارة.. وستجدين فيه الذهب
الكثير..

ترددت صمعه في تنفيذ ما طلبه منها ابنها غير مصدقة
لحكايته، لكن فضولها دفعها إلى تنفيذ ما طلبه منه
ابنها، فأمسكت سكيناً حاداً وراحت تفتح القرع واحدة
بعد الأخرى، وسرَّ قلبها بما رأت من قطع ذهبية كثيرة
داخل القرع، فما كان منها إلا أن تحمل الذهب وتذهب
به مباشرة إلى بيت النوخدا الذي تفاجأ بقدموها،
وبالذهب الذي وضعته أمامه، حيث لم يصدق أن ابن
صمعه قادر على الإتيان بكل هذا الذهب، مما جعله
يوافق على الفور على الزواج. أما ابنة النوخدا فلم
تفرح لذلك، بل حزنت حزناً شديداً، فهي فتاة جميلة
وابنة نوخدا وكل فتيان البلدة يتمنون الزواج منها،
ليكون مصيرها في النهاية أن تتزوج بسمكة، ولم تنفع
تضرعاتها ولا توسلاتها بأبيها في جعله يغير رأيه،
فطمعه بالحصول على الذهب، سد عليها كل الطرق،



وأجبرها على أن ترضى بالزواج من حَرَّاش السمكة.
وحان موعد الزفاف الميمون، حيث الأفراح ملأت
أجواء البلدة بهذا الزواج، في عرس خيالي فخم تحلم
كل فتاة في البلدة بأن تحظى بحفل زواج مثله، غطت
الزينة المنازل، و(الغَيَّ1) لم يتوقف حتى الصباح، ووزع
الطعام على جميع الحاضرين، أما حَرَّاش وأمه فكانت
السعادة واضحة على عيونهما، بعد أن حظي حَرَّاش
بالفتاة التي تمنّاها وها هي الليلة ستكون زوجته بعد
طول انتظار.

تزوج حَرَّاش وبنت النوخذا، وفي صبيحة اليوم الذي
تلا ذلك الزواج، نظرت بنت النوخذا حولها فلم
تجد حَرَّاش في الغرفة، فخرجت إلى غرفة الجلوس،
لتتفاجأ بمنظر زوجها حَرَّاش وهو يقوم بخلع جلده
بطريقة أدخلت الخوف والهلع إلى قلبها، حتى أنها
لم تعرف ما تفعل، فأمسكت بجلد زوجها الذي خلعه
وألقت به في مبخرة البخور حيث النار مشتعلة فيها،
وعلى الفور تعالى دخان كثيف من المبخرة نتيجة

1 الغَيَّ الطرب.



احتراق جلد حَرَّاشُ المخلوع بالكامل، وبدأ حَرَّاشُ
يصدر أصواتاً غريبةً وهو يصرخ من شدة ما أصابه
من ألم، أما زوجته فوقفت متسمرة عند الباب ترتجف
من رعب ما يحدث أمامها، بعد لحظات، بدأ الدخان
بالتلاشي وتلاشت معه أصوات حَرَّاشُ شيئاً فشيئاً..
وبدأ حَرَّاشُ يقترب منها خطوة بعد خطوة.. بينما
هي لا تزال في خوفها الكبير، حتى توضحت ملامح
وجه حَرَّاشُ بعد أن زال الدخان بالكامل، لتمتلئ عينا
بنت النوخذا بالفرح والإعجاب والصدمة، حينما
شاهدت زوجها حَرَّاشُ وقد تغير شكله من سمكة إلى
رجل وسيم، أحبته حباً جماً وظلت وفية له ومخلصة
وسعيدة بزوجها الإنسي الذي تخلص من شكل السمكة
إلى الأبد، وظلا معاً يعيشان الحياة بسعادة وهناء.

وخلصت الخروقة..

سُودَةُ خَصَفْ





سُودَةُ خَصَفٌ¹

كان يا ما كان في قديم الزمان، فتاة طيبة وبسيطة، اسمها (زُويْنَة) تعيش مع والديها على ساحل مدينة دبا، يؤمّنون احتياجاتهم المعيشية مما ينتجه النخل (المزْرَعَة)، من ثمرات النخيل من رطب وتمر ومن محاصيل أخرى كالقرع والبطيخ والبوبر وغيرها مما يقتات عليه أهل المدينة في تلك الفترة من الزمن، بالإضافة إلى حضائر (الهَوْش²) ، يستفيدون من لحمها وحليبها في طعامهم وشرابهم، وأيضاً البحر وما يجود به من الأسماك بأنواعها المتنوعة والمتعددة. عائلة (زُويْنَة) لا تختلف عن باقي العائلات التي عاشت في دبا في تلك الفترة، إذ إنهم حريصون على حفظ الطعام بطريقة سليمة لأوقات شحه أو انقطاعه

1 دارت حول (سُودَةُ خَصَفٌ) هذه، وهي كائن من الجن تتصف بالضخامة والشدة وتشبه شكل التمرة، العديد من الحكايات في مدينة دبا وباقي مدن الإمارات، بين مصدق ومكذب لمثل هذه الحكايات، والتي يعتبرها البعض مجرد أداة لتخويف الأطفال ومنعهم عن العبث والإزعاج.

2 الهَوْش الغنم.



أو تحسباً لأي طارئ، وظلّ التمر من ذلك الوقت وحتى الآن مصدراً أساسياً من أساسيات المعيشة، إذ لا يخلو بيت من تواجدده على المائدة بأشكاله وأنواعه الكثيرة والمختلفة، يحفظونه (بالخَصَف¹) وكذلك (بالخُرُوس²).

ولأن الأطفال غير مأموني الجانب فيما يخص عبثهم وفضولهم في الاطلاع على كل شيء وربما إفساده أو إهداره عن غير قصد إلا اللعب واللهو وحب الاكتشاف، اختارت عائلة (زُويْنَة) حفظ ما يفيض عن حاجتهم من التمر في مخزن مخصص لحفظ الطعام، وكانوا يطلقون التحذيرات لَزُويْنَة على الدوام بعدم دخول المخزن، حتى أنهم اخترعوا شخصية خيالية يخشاها الأطفال في ذلك الوقت من الزمن، وأطلقوا عليها اسم (سُودَة خَصَف) التي تؤذي كل من تراه، وخصوصاً الأطفال، تؤذيهم أو تخطفهم أو تفرعهم فزعاً شديداً. وفي يوم من الأيام، في أول أيام الصيف حيث تقلّ

1 الخَصَفُ قفة تعمل من ورق النخل لحفظ تمر النخل ونحوه.

2 الخُرُوسُ خروس جمع ومفردها خرس وهو جرة فخارية تستعمل لحفظ الطعام.



منتجات الزراعة ويكون اعتماد العوائل على التمر، كمصدر رئيسي للغذاء، وخصوصاً تمر الحولي، الذي هو كالذهب بقيمته الغذائية والمادية، ومن يملك هذا الصنف من التمر هو في حياة هائلة وكريمة ومكتفية، أنهت (زُويْنَة) حصتها اليومية من اللعب مع أبناء الجيران قبل حلول المساء، وعادت إلى بيتها منهكة وكذلك جائعة، وحين دخولها منزلها لم تعثر على والديها، وفتشت في أرجاء المطبخ فلم تعثر على شيء يسد جوع بطنها ويطفئ لهيب جوعها، وبعد تفكير طويل، خطر على بال (زُويْنَة) المخزن، بما يحويه من تمر طازجة وشهية مقدسة فيه، لكنها أيضاً تذكرت تحذيرات أمها، من خروج الجنية (سُودَة خَصَف) لها، والتي لن تتركها إلا بعد أن تؤذيها أو تختطفها.

انكفأت (زُويْنَة) في مكانها ولم تجرؤ على تنفيذ فكرتها في الذهاب إلى المخزن لخوفها من خروج الجنية، وانتظرت طويلاً عودة والديها ولكن بلا جدوى، ولما بدأ الجوع ينخر جسدها ويسبب لها الصداع والإعياء والوهن، اختارت أن تذهب في طريق الجرأة والشجاعة،



وأن تمضي قدماً في فكرتها الأولى، وهي دخول المخزن
وسد جوعها.

وبخطى بطيئة وخائفة نوعاً ما، وصلت (زُويْنة) باب
المخزن، وفتحته بهدوء شديد، ولحظة دخولها انغلق
الباب عليها بقوة مصدراً صوتاً قوياً، وقبل أن تتماسك
(زُويْنة) من روعها، وتعود إلى هدوئها، فاجأها صوت
امرأة غليظ وقوي وهي تقول:

سُودَة خَصَفْ : (فَرَضْ1) الفريض دوا المريض.. إن
كلته شفاك وإن بعته غناك.

تسمّرت (زُويْنة) في مكانها من شدة ما أصابها من
الخوف والجزع، وبعد أن استجمعت قواها ورباطة
جأشها، وتذكرت ما ألمّ بها من جوع، ردّت على الصوت
القوي بقولها:

(زُويْنة) : الفريض دوا المريض.. وأنا جائعة ومريضة
أيضاً..

تلاشى صوت المرأة القوي واختفى، فهدأ روع (زُويْنة)
وتقدمت بخطوات بطيئة نحو مرادها، من أجل أن

1 فَرَضَ نوع من أنواع التمر والفريض هو نوع من أنواع التمر الجيد
واللذيذ، ويدخل في علاج العديد من الأمراض حسبما يروى.



تنال تمرات تعيد إليها توازنها وتزيح شبح الجوع عنها. لم تتحرك (زُويْنَة) سوى خطوات معدودة حتى باغتتها امرأة سوداء تشبه إلى حد ما شكل التمرة، وعيناها تشبهان (الطَّعامَة¹)، ممسكة بزويْنَة التي فقدت شجاعتها وقوتها في الدفاع عن نفسها بسبب خوفها، وبعد أن أحكمت (سُودَة خَصَفْ) قبضتها على (زُويْنَة) قالت لها:

سُودَة خَصَفْ : لماذا دخلتِ المخزن.. ألم يتم تحذيرك في السابق من دخول هذا المكان؟؟

فردت (زُويْنَة) على الفور:

زُويْنَة : كنتُ جائعة

سُودَة خَصَفْ : سوف أعاقبك..

زُويْنَة : كلا.. أرجوكِ

لم تعر (سُودَة خَصَفْ) أي بال لتوسلات (زُويْنَة) وأنينها وألمها، وبحركات سهلة وبسيطة دارت بها فوق رأس (زُويْنَة)، جعلت من الفتاة المسكينة تسقط على الأرض مغشياً عليها.

1 الطَّعامَة نواة التمر.

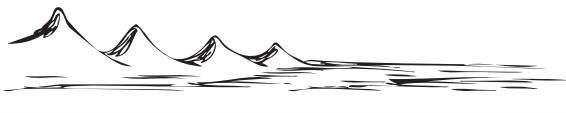


أصيب والدا (زُويْنَة) بالخوف الكبير حينما عادا إلى البيت ولم يجدا (زُويْنَة) داخله، فتشا كل شبر في المنزل ولم يعثرا عليها، في كل مكان يمكن أن تكون فيه في مثل هذا الوقت من الليل، ولم يخطر على بالهما أنها قد دخلت المخزن الذي طالما حذراها من دخوله. غير أن خوفهما على ابنتهما جعلهما يفكران في الأمر، فلم يلبثا طويلاً إلا وهما على باب المخزن، فتح الباب الأب ليشاهد ابنته على الأرض مغمى عليها. صرخت أمها وهرعت نحوها وحملتها خارجة من المخزن بسرعة فائقة حتى وصلت بها غرفة نومها، وجلبت البصل والثوم كي تشمه فتستفيق من فرط الرائحة، وحين أفاقت (زُويْنَة) صرخت بشدة وهي ترتجف في سريرها:

زُويْنَة : سُوْدَة خَصَفْ.. سُوْدَة خَصَفْ

حينها، علم الوالدان بأن ابنتهما تعرضت لهجوم من الجنية (سُوْدَة خَصَفْ)، وأن (زُويْنَة) عصت أوامرهما وتجاهلت تحذيراتهما بخصوص خطر (سُوْدَة خَصَفْ) وخصوصاً على الأطفال، ودخلت المخزن.

حملها والدها بذراعيه وتوجه نحو (المطوَّع) الذي

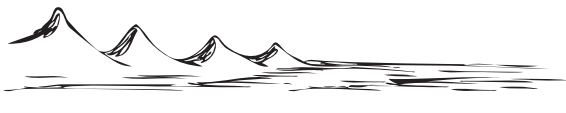


بادر بالقراءة عليها من أجل طرد الوسوس من
رأسها وإزالة رعبها، وما إن عادت (زُويْنَة) إلى حالتها
الطبيعية، تحدث معها (المطوَّع) بود ورأفة، محذراً
إياها من دخول المخزن مرة أخرى.

وخلصت الخروفة..

منّوه السوداء





منّوه السوداء

يحكى بأن هناك جنية شريرة أطلق عليها الأهالي اسم (منّوه السوداء) نسبة لاسم آمنة، تتميز بلون بشرتها الأسمر الداكن، وسميت بسبب لون بشرتها باسم (منّوه السوداء).

وفي تلك الفترة كانت التجارة على أوجّها بين مدينة البصرة ومدينة دبا، إذ إن التجار يأتون بسفنهم الخشبية ويسIRON بها على مقربة من الشاطئ، ليعرضوا نفائس بضائعهم على الأهالي، والتي أهمها الملح والغاز، وفي المقابل يشترون من أهالي دبا سمك (الخباط) الذي تشتهر به مدينة دبا للذيذ طعمه وكثرته في موسمه.

وفي يوم من الأيام، قدم أحد تجار الملح والغاز من البصرة، وأثناء تواجده لبيع ما لديه من بضائع، نشب خلاف بينه وبين أحد الزبائن والذي يدعى (خلفان الدوع) على سعر الملح، وحينما اشتد الخلاف بينهما وبدأت أصواتهما تعلو، تغيرت ملامح خلفان الدوع



وبدأ بالصراخ القوي وسرعان ما تصلب جسده وصار
مثل خشبة، أما عيناه فقد أخذتا بالاحمرار، ثم باغت
التاجر بالصراخ عليه بكلمات مبهمة وغير مفهومة
متوجهاً نحو التاجر الذي لم يلبث طويلاً حتى حدث
له ما حدث لخلفان، من تغير صوته وتصلب جسده
واحمرار عينيه، لتتشابك أيادي الاثنين في صراع دام
بينهما لفترة، مما أثار رعب الأهالي وباقي التجار،
الذين وعوا لما رأوه وأيقنوا بأن كلا الخصمين قد
خضعا لقوة شريرة غريبة غيبتهما وجعلتهما يهذيان
بكلمات لا يعرفان معناها:

أحدهم : منّوه السوداء..

آخر : منّوه السوداء.. منوالسودة..

وتعالت الأصوات بالصراخ من هنا وهناك على أن
الجنية منّوه السوداء قد تلبستهما، مما حدا بهما
الإسراع إلى مطوع المدينة وجلبه إلى الشاطئ، المطوع
الذي حضر ومعه عصاته المحنّية، وانهاّل بها ضرباً
على خلفان وبائع الملح، وهو يقرأ آيات من الذكر
الحكيم، حتى تمكن من تهدئتهما إلى حد ما، وقد



عرف أن خلفان تلبسته الجنية (منّوه السوداء) فبادر
الجنية بالسؤال:

المطوع : من أنت.. وماذا تريد من خلفان؟

الجنية : أنا عشيقته.. ولن أسمح لأحد أن يمس
خلفان بسوء.. وسأنتقم من هذا التاجر البصري.

المطوع : أخرجني من جسد خلفان.

الجنية : كلا.. لن أخرج..

المطوع : سأضربك بعصاي المحنّاية

الجنية : كلا.. لا تضربني.. الضرب يؤلمني

المطوع : إذن عليك الخروج من جسده فوراً.. ومن
رجله اليمين..

الجنية : سأخرج لكن بشرط.. أن تأتوني ببعر غنم
وقليل من ماء الورد

فطلب المطوع من الموجودين الإتيان بما طلبته الجنية
على الفور، ولحسن الحظ فإن المدينة تحوي الكثير من
الأغنام، وماء الورد أيضاً متوفر وبكثرة، ولما أحضروا
طلبات الجنية، قام المطوع بإطعامها وسقيها، ثم على
الفور بادرها بأسئلة كانت تدور في رأسه منذ زمن، وقد



المطوع : هل أنت بالفعل منّوه السودة؟

الجنية : كلا.. ولا علم لي لم أطلقتم أنتم البشر اسم
(منوه السوده) على آمنة الجنية.. فهي أجمل الجنيات
ولا تؤذي أحداً وتسكن في جبل بوادي السدر.

اندھش المطوع من جواب الجنية، واستغرب لما ذكرته
عن الجنية (منّوہ السودہ) فواصل طرح الأسئلة:

المطوع : كيف هذا؟ الجنية (منّوه السوداء) جميلة ولا تؤذي أحداً وليست سوداء.. أخبريني الآن.. كيف أستبدل عليها؟

وقبل أن يتم أسئلته، سمع جميع الموجودين صرخة قويا خرج من الحنية وهي تقول:

الجنية : منّوه السوداااااااااااا

لتخرج من جسد خلفان، الذي عاد على الفور إلى طبيعته. ثم توجه المطوع إلى التاجر البصري، وقام بذات الأفعال التي فعلها مع (خلفان الدوع)، حيث قرأ الآيات على رأس التاجر البصري وضرب بعصاه



المحنائية جسده، وحدث ذات ما حدث مع خلفان، إلا إن الجنية كانت تتحدث بلهجة أهل البصرة، وغادرت الجسد دون أن تطلب شيئاً لقاء ذلك.

هدأ الرجلان، وتمكن المطوع من الإصلاح بينهما، ثم ذهب كل واحد منهما إلى حال سبيله راضياً ومتسامحاً. أما (المطوع) فبقيت الحيرة تحاصر رأسه، وظل يفكر الجنية (منّوه السوداء) الجميلة التي لا تؤذي أحداً كما روت له الجنية قبل خروجها من جسد (خلفان الدوع). فالمطوع ومنذ صغر سنه، يسمع عن الجنية (منّوه السوداء) التي وصفها أهل المدينة بالشكل القبيح والأذى إن دخلت جسد أي شخص، كما أنها حسب وصفهم تجعله عصبياً وكثير التشاجر مع الناس، فإذا قام شخص بمثل هذه التصرفات العدوانية قالوا عنه تلبسته منّوه السوداء، غير أن حديث الجنية الخارجة من (خلفان الدوع) أثارت الكثير من الأسئلة والفضول في قلب المطوع، للبحث عنها ومعرفة حكايتها.

وفي صبيحة اليوم التالي، انطلق (المطوع) سيراً على قدميه من مدينة دبا إلى وادي السدر، سالكاً طريق



السيح، ومنه إلى منطقة الحلاه، مروراً بوادي العبادلة حتى وصل إلى طوي ساطر بمنطقة الطيبة.

طوي ساطر هذا منطقة آمنة، يستفيد منه جميع المسافرين، تستريح فيه القوافل، ويشربون منه الماء ويسقون بهائمهم وجمالهم، وبعد أن ارتوى (المطوع) من الماء، تجمع الناس حوله لأداء صلاة الظهر، فصلوا جماعة، ثم جلسوا لتناول غدائهم، وكان الجميع يتهافتون بمحبة على (المطوع) من أجل دعوته لتناول غدائه معهم، غير أن (المطوع) وبعد شكره لدعوتهم، اختار أن يأكل مما لديه من الطعام لوحده.

وبعد انتهاء (المطوع) من تناول طعامه، وبينما هو خالد للراحة، سمع صوتاً ينادي من بعيد:

أحدهم : (عَرِيش¹).. عريش يحترق.. عريش يحترق

وعلى الفور، هبَّ (المطوع) لنجدة أهل المنطقة الذين أصروا وبعد إخماد الحريق، على أن يبيت (المطوع) ليلته في بيت من بيوتهم، ولم يستطع (المطوع) ردَّ هذه

1 عَرِيش البيت المصنوع من جريد النخل.



الدعوة هذه المرة، ودعاه أهل الطيبة إلى وجبة العشاء،
التي تخللتها أحاديث كثيرة بين (المطوع) وبين أهالي
المنطقة، حتى بادروه بالسؤال عن وجهته وأسباب
سفره، فأخبرهم بأنه خارج للبحث عن الجبل الذي
ينبت فيه نبات الخنصور.

أصاب أهل المنطقة الدهشة، واستغربوا من رغبة
(المطوع) الذهاب إلى جبل الخناصر، لعلمهم المسبق
بأن (منّوه السوداء) تسكن فيه، وقد تؤذيه. ولما رأى
(المطوع) في عيونهم الدهشة والاستغراب، أجابهم عن
تساؤلاتهم:

المطوع : أنا ذاهب إلى هناك لغرض في نفسي.. وأنا
ولله الحمد مؤمن بالله وبالقدر خيره وشره.. وإن شاء
الله لن يصيبني إلا ما كتبه الله لي..

ومع طلوع شمس النهار، انطلق (المطوع) نحو غايته،
جبل الخناصر، بعد أن استدلّ على الطريق من أهالي
منطقة الطيبة، عابراً الأودية والجبال الشاهقة، ماراً
بالدروب الوعرة والموحشة والمليئة بالعقارب والأفاعي،
فضلاً عن الذئاب المتوحشة وعوائها المخيف، غير أن



(المطوع) لم يخش أياً منها بسلاحه الذي حمله معه وهو القرآن الكريم الذي تلاه على طول الطريق، والذي جعله آمناً هادئاً ومطمئناً حتى وصل إلى شجرة سمرة كبيرة معلق عليها (ذبيبة¹) ميتة ومتحنطة من فترة.

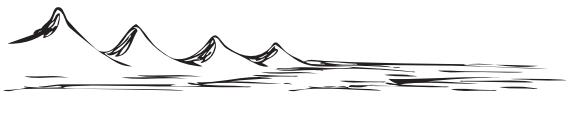
بقي الخوف جالساً في قلب (المطوع) مما رآه، وظل يردد ما يحفظه من آي الذكر الحكيم حتى عبر الشجرة وتخلص من خوفه، وهو في طريقه شاهد امرأة عجوزاً لوحدها ترعى الغنم، فوقع في نفسه أنها قد تكون هي الجنية (منوه السوداء):

المطوع : إن لم تكن هذه (منوه السوداء) فما الذي أتى بهذه المرأة إلى هنا؟؟ وكيف أخبرني الأهالي بأنه لا يوجد بشر هنا!!

بهدهوء وسكينة، اقترب (المطوع) من المرأة العجوز، وألقى عليها التحية، والتي هي بدورها أيضاً ردت تحيته بصدر رحب ومودة، ثم بادرت به بالسؤال:

المرأة العجوز : كيف أخدمك يا بني؟

1 ذبيبة قط الوشق.



المطوع : (وهو خائف) هل أنتِ منّوه السوداء؟

نظرت إليه، وبكل هدوء أجابته:

المرأة العجوز : لا..

المطوع : إذن من تكونين؟؟ وكيف يقولون بأنه لا

يوجد بشر هنا!

المرأة العجوز : يقول المثل يا ولدي اتبع الكذاب لين

باب بيته..

المطوع : لم أفهم شيئاً..

المرأة العجوز : لقد صدقت ما قاله الآخرون من

كذب وشائعات.. شائعات قديمة ما زالوا يتداولونها

حتى يومنا هذا.. حتى صارت عرفاً بين أهالي المنطقة..

توارثوها جيلاً بعد جيل..

المطوع : لكنني سبق أن عالجتُ أحدهم من المسّ..

وتحدث إلى الجنية وسألتها عن (منّوه السوداء)

فأجابتنني بأنها جنية طيبة ولا تؤذي أحداً وليست

سوداء.

المرأة العجوز : أنا أعيش هنا مع زوجي منذ زمن

طويل.. ولدينا جيران.. ثلاثة من أبناء عم زوجي..



نعيش على نباتات (السَّيْح¹) والجبل ومن حليب
أغنامنا.. ولا نغادر هذه المنطقة أبداً.. وذلك بسبب ظن
الناس بأن منّوه السوداء تعيش هنا.. فربما يعتقدون
كما تعتقد أنت بأننا هي..

المطوع : وكيف تعيشون هنا في هذا المكان الموحش؟؟
المرأة العجوز : من أخبرك بأنه موحش.. إنه أجمل
مكان على وجه الأرض.. لدينا الماء النظيف البارد
القادم من عيون الجبال.. ولدينا من نباتات الجبال
أفضلها.. من سيداف وخصاير وحماض والظفر
والعري.. ونزرع حبّ البر ونطحنه ونأكله خبزاً أو
عصيدة. كما أننا لدينا أشجار الشوع والسدر والسمر
وغيرها الكثير من الأشجار الجبلية التي نستفيد
منها.. ونأكل من لحوم أغنامنا والله الحمد.

المطوع : والذئاب التي أسمع صوتها بين حين وآخر؟؟
كيف تتعاملون معها؟؟

المرأة العجوز : الذئاب لا تقترب منا إلا نادراً.. نحن
مسلحون ولدينا أسلحة نارية.. ها هو لدي سلاح

1 السَّيْح منطقة صحراوية جبلية واسعة.



(صَمْعَه 1) ولدى زوجي سلاح (مِيز 2).

إجابات المرأة العجوز زادت من استغراب (المطوع)

واندهاشه، فأكمل طرح الأسئلة عليها:

المطوع : وما قصة الذئبة المعلقة على شجرة السمرة؟

المرأة العجوز : هاجمت هذه الذئبة أغنامنا..

تلتهمهم من الرقبة وتمص دماءهم.. قضت على عدد

كبير من أغنامنا.. وهي في العادة لا تهاجم إلا ليلاً..

فوضعنا فخاً لها واصطدناها.. وقمنا بتعليقها على

شجرة السمر الكبيرة كي يعتبر من مشهدها باقي

الذئاب.

المطوع : أرجوك يا والدتي.. أصدقيني القول.. هل

توجد جنية اسمها (منّوه السوداء) أم أنك تريدين

صريف من هذا المكان؟؟ أم أنك أنتِ هي (منّوه

السوداء)؟؟

المرأة العجوز : رغم كل ما ذكرته لك وما زلت لا

تصدقني.. يا بني أدعوك للذهاب معي إلى (عشتنا 3)..

1 صَمْعَه نوع من أنواع البنادق القديمة.

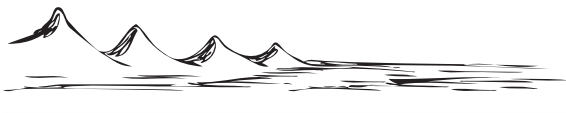
2 مِيز نوع من أنواع البنادق القديمة.

3 عشتنا جمع ومفردها عشة وهو المنزل المصنوع من حجر وطين بشكل هرمي ودائري ومسقوفة بنبات العسب (الحامية).



وهناك سوف تلتقي بزوجي وابني وأبناء عم زوجي..
المطوع : أنتِ صديقة يا والدتي.. أعتذر لكِ لأنني أسأتُ
الظن بك.. سأعود إلى دبا
المرأة العجوز : حفظك الله يا بني.. انتظرنى قليلاً
ريثما أحضر لك شيئاً من الخبز واللبن الطازج.
المطوع : شكراً.. لا تكلفي نفسك هذا العناء.. لديّ ما
يكفي من طعام
المرأة العجوز : (إقْرَبْ¹) وإذا ما شالتك الأرض
تشيلك عيونا.
المطوع : حسناً.. لن أَرَدَ طلبك..
المرأة العجوز : ولا تنسى أن تحمل معك الخناصير..
يوجد هنا أجود أنواع الخناصير.. إنها مفيدة للجسد..
وتقي من الأمراض ومنطقتنا مشهورة بنبات الخنصور
الممتاز.
المطوع : سوف أفعل.. أهل دبا يحبون أكل الخناصير
مع العيش والسمك والقليل من السمن والليمون.
المرأة العجوز : عليك بالصحة والعافية.. رافقتك

1 إقْرَبْ كلمة محلية تستخدم للاستئذان بالدخول للمنزل.



السلامة يا بني.. انتبه لوعورة الطريق ومن العقارب
والأفاعي.

المطوع : نعم سوف أفعل.. شكراً لك أيتها المرأة الطيبة
والكريمة.

غادر المطوع الجبل، محملاً (بِخُبْزِ الْبُرِّ¹) الشهي
واللبن الطازج والخصائص المميزة، غير أن الأسئلة لا
تزال تداعب رأسه:

المطوع : هل يعقل ما حصل؟؟ هل يعقل أن (منّوه
السودة) مجرد كذبة وصدقها الجميع.

وخلصت الخروفة..

1 خُبْزُ الْبُرِّ هو الخبز المصنوع من دقيق البر.

الفهرس

7	 مقدمة المركز
11	 مقدمة الكاتب
15	 تمهيد
23	 فاطمة زينة العرب
41	 يرم
61	 حراش
75	 سُودَة خَصَف
85	 منّوه السودَة

تمت بحمدہ